

# معادة التنوير سلاح السلفية لخلق الفتن الطائفية

## سلفيو مصر يتعمدون استفزاز الأقباط لجرّ المجتمع إلى حروب تنطق باسم الدين



يتمسك التيار السلفي في المنطقة العربية بالقراءات الدينية التقليدية للسلف، ويقدم تأويلات حرفية للنص الديني وتصورات جامدة للمجتمع. ويحرص دائما كغيره من التيارات الدينية المترزمة على فرض مقولاته، وهو ما يجعل منه قوة جذب إلى الورا أمام سعي الشعوب والحكومات العربية لتجاوز حالة التخلف والتفاوت الحضاري اللتين تعاني منهما. ورغبة منهم في لفت الانتباه بعد انحسار الأضواء عنهم، عمد متشددون سلفيون في مصر، عبر تطبيق متعصب لقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى الاعتداء على أفراد من الطائفة القبطية، وخاصة من النساء، في استفزاز متعمد ومحاولة لجرّ المجتمع إلى مشاكل ومناوشات طائفية، وهو ما يتعارض مع جهود الحكومة المصرية التي تعمل على تعزيز وحدة المجتمع وبحث قيم التجديد والعصرنة والحريات الفردية.

هشام النجار  
كاتب مصري

القاهرة - اندهش الكثيرون من الإخبار المتداولة بشأن تعرض عدد من النساء القبطيات في مصر لقص شعورهن عنوة في بعض عربات المترو المخصصة للسيدات على يد منقبات مؤخر.

مثلت هذه الوقائع صدمة للكثير من المتابعين الذين يطمنون أن تكون جهود الحكومة المصرية في مجال تجديد الخطاب الديني والحداثة قد انعدمت، لكن هذه التطورات كشفت عن عورات لا تزال تتحمل في عقل ووجدان قطاع عريض من السلفيين.

ربما يكون ما جرى استفزازا متعمدا للاقباط في مصر ومحاولة لجرّ المجتمع إلى مشاكل ومناوشات طائفية، يفرضها المتشددون للظهور بعد انحسار الأضواء عنهم. لكن هذه النوعية من الأحداث تثبت أن جهود الحكومة التي تحرص على تعزيز قيم التجديد والعصرنة والحريات الفردية في واد، وتصرفات القوى الإسلامية في واد آخر.

### لفت الانتباه

تعيد الوقائع التي حصلت في أوقات متقاربة وروايات متشابهة، النقاش حول النقاب الذي يتخذ البعض كوسيلة للتخفي وارتكاب جرائم والقيام باعتداءات على الآخرين، خاصة أن هناك مشروعات قوانين لمنعه في الأماكن العامة والمؤسسات المختلفة في الدولة قد تم رفضها من قبل نواب البرلمان المصري.

في منشور حقق الألاف من المشاركات على صفحاتها في "فيسبوك" روت فتاة تدعى نانسي مجدي تفاصيل الاعتداء عليها وقص شعرها عنوة على يد منقبات داخل عربة مترو مخصصة للسيدات قبل أن يلدن بالفراق.

لا يوجد دين يسمح بالتطور وأخر يمنعه، فقد استفاد الغربيون من اصطدام مشروعهم التنويري في البداية بالأصولية المسيحية المتزمتة لينطلقوا في صنع حضارتهم ونزعتهم الإنسانية

ما كانت هذه الواقعة تلتك الانتباه لو كانت عرضية أو فردية، لكن تشابه السلوك رجح فرضية التخطيط والتدبير المسبق مع واقعة روتها من قبل صحافية بجريدة روز اليوسف اسمها رحمة سامي، عندما قامت سيدة منقبة بمحاولة قص شعرها بواسطة

### اعتداءات متكررة على الأقباط

الذي رعته جماعات توظف شعارات الإسلام ومفاهيمه لمصالحها السياسية على حساب الفهم الصحيح والمنطقي للقيم والمبادئ.

منذ كتب الفيلسوف المصري الراحل زكي نجيب محمود كتابه "جنة العبيط" في أربعينات القرن الماضي والغالبية تبدو سعيدة وراضية بأوضاعها المتخلفة، وقانعة بخسر لذة إظهار التفوق في القضايا الجنسية باعتبارنا أكثر شرفا وفضيلة، لا يزال أغلب المسلمين يعتقدون أن الغرب "خلاعة ومجون ورذيلة وإفك"، وأن التحري في شعر المرأة فلا يغادره غطاء الرأس هو التظاهر الأهم للأخلاق، وما وصل إليه الغربيون من حضارة ليس بالشيء الخطير والمعجز، فالمسلمون لديهم علماء بارعون في قراءة الكف وحساب النجوم وتفسير الأحلام.

والحرص على المصلحة العامة، ومحاربة الفساد والرشوة والكذب والنفاق الاجتماعي. ورأى أن الدين لا يحتاج إلى سلطة تحميه ولا إلى جماعة سياسية تدافع عنه، وأن الإيمان لا يحتاج إلى حماية من أحد، فهو شأن من شؤون القلب والضمير وليس هبة من أحد، سواء كان عالما أو فقيها.

### انقلاب على المسار الإصلاحي

وتعد أفضل إنجازات محمد عبده الإصلاحية أنه وكف النهي عن المنكر لرفض الوساطة والسلطة الدينية، إذ ليس في الإسلام ما يسمى عند القوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه، ونجح في تحويل قيمة الأمر بالمعروف والتضييق والتشويه. وتوصل الإمام الراحل محمد عبده مبكرا إلى صياغة رؤية إسلامية كفيلة بترجمة مبادئ الإسلام ومفاهيمه إلى أخلاقيات منتجة للتعاشيش والحس المشترك للمواطنة والتكافل الإنساني

لقد تمّ الانقلاب على هذا المسار الإصلاحي في ما يخص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من المفاهيم، بجهود التيار الأصولي والجماعات السلفية فانفصلت الأخلاق والمدنية عن الدين، ونشط من سعى لجعل المسلمين لا يملكون ديناً بل الدين هو الذي يملكهم، بأن تصح القيم الأخلاقية الجماعية الواحدة هي السائدة على حساب قيم الفرد والمواطن الحر، ليتحول الطقوسي إلى عرف وتغل الروح الإسلامية التي إن لم تجد من الفقهاء والجماعات الدينية والمنتولين من الشعب من يقمها فإنها تقمع نفسها بنفسها.

لم ينتقل الدين من وقتها من ملكية جماعات ومؤسسات تفرض وصايتها باسمه إلى مسؤولية أفراد المجتمع، بحيث يصبح كل إنسان حراً في دينه، وفي التعبير عن هذا الدين، متحرراً من النفاق الاجتماعي

كل المجالات بمزاعم الاستعلاء الديني والتفوق الأخلاقي، رفضاً للاعتراف بمنجزات الأخر على المستوى الإنساني والحضاري، وتمسكا بدعاوى تميز وتفوق وهمية.

لا صحة لتلك التفسيرات العنصرية التي تريد إخراج العرب من جلدهم أو من دينهم كي يصبحوا حضاريين تحركهم النزعة الإنسانية، كما يزعم السلفيون، والفارق أن مشروع التنوير قد تم استكمالته وإتمامه والبناء عليه في أوروبا عبر جهود جماعية أفرزت هذه الحالة من التفوق الحضاري والسمو الإنساني، في حين لم يستكمل المشروع في الحالة الإسلامية، حيث يتم غلق باب الاجتهاد والتجديد بعد محاولات فتحه، علاوة على أن التجديد يجري عبر جهود فردية مستهدفة باستمرار بالملاحقة والتضييق والتشويه.

توصل الإمام الراحل محمد عبده مبكرا إلى صياغة رؤية إسلامية كفيلة بترجمة مبادئ الإسلام ومفاهيمه إلى أخلاقيات منتجة للتعاشيش والحس المشترك للمواطنة والتكافل الإنساني

عنة قد تفاجئه قصة مصورة لقاض غربي يتلمس الأعداء والمخارج لنساء وقعن تحت طائلة العقاب والمحاسبة القضائية.

وقد يشاهد شريطا قصيرا يحكي قصة واقعية لشباب وفتيات غربيات خططوا لكيفية تعويض امرأة مشردة ووحيدة أو كفالة رجل فقير، في حين لا ينتهي من تصفح حسابيه الشخصي قبل أن يستمع إلى لعنات الدعاة السلفيين عندنا على الغرب "المنحل والمفكك أخلاقيا".

تسعى الحكومة المصرية والتيار الذي ينشط في نشر مفاهيم التنوير والتجديد عبر وسائل الإعلام لمعالجة تراكم التناقضات والاختلالات الأخلاقية وتفاقمها في المجتمعات الإسلامية، والتي تعود إلى محاولات التيار السلفي لحجب الرؤية عن حقيقة الدين الإسلامي، ولأنه لا يوجد دين يسمح بالتطور وأخر يمنعه فقد أفاد غربيون اصطدم مشروعهم التنويري في البداية بالأصولية المسيحية المترزمة عبر شجاعتهم ومكاشفتهم وصراحتهم لينطلقوا لصنع حضارتهم ونزعتهم الإنسانية.

### وهم الأفضلية

تحتجز المكابرة والخوف عندنا عملية كشف حقيقة الدين الإسلامي وموقفه من التقدم ليظل مفهوم الغالبية حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتمحور حول التصورات الأخلاقية ذات الطابع الجنسي.

والأفضلية المتوهمة التي يروجها دعاة السلفية بغرض الانتصار لرؤيتهم القاصرة للتغيير المجتمعي ليست سوى قناع زائف يحول دون إدراك مدى ما تحتاجه مجتمعاتنا العربية من جهود لحيازة التقدم ووسائل الرفاهية. ويحاول السلفيون تعويض شعورهم بالدونية أمام قيم الدول المتقدمة في

"كتر" (ألة حادة Cutter) لعدم ارتدائها الحجاب أثناء استقلالها عربة مترو خاصة بالسيدات.

### وقائع متكررة

تكررت الواقعة بتفاصيل مشابهة قبل يومين مع فتاة قبطية ثالثة تدعى نور ميخائيل، وبمراجعة تاريخ هذه الحوادث تبين أنه خلال فترة وجيزة تم الإعلان عن حوالي عشر وقائع، تم نشر تفاصيل بعضها.

تكتشف بعض الفيديوهات والتغريدات المتعلقة بسلوكيات اجتماعية على وسائل التواصل الاجتماعي تباينا هائلا بين تصورات سلفية وأصولية غارقة في أوهام الفضيلة والتدين الشكلي، مقابل وعي غربي تلقائي يركز جهده على الإنسجام من جهة حاجته إلى من يشعره بإنسانيته وكرامته.

ترتبط هذه الممارسات المستفزة باختلاف التصورات والرؤى بشأن قيمة الأمر بالمعروف، وهي كما يروج لها دعاة التيار السلفي الذين اتجهوا لنشر فيديوهات مركزة ومختصرة على مواقع التواصل الاجتماعي بعد منعهم من الظهور على الفضائيات المصرية، تدور حول معنى تغيير أي فعل غير أخلاقي من المنظر السلفي ولوم وتأييد فاعله، مثل وضع الماكياج أو ارتداء ثياب ضيقة أو قصيرة أو الاستماع للأغاني والموسيقى.

يتكرر ادعاء التفوق الإسلامي على الغرب بوصف هذا الأخير مجتمعا غير أخلاقي مع كل القصص التي يرويها دعاة التيار السلفي، وهو ما فعله الداعية السلفية محمود المصري، الذي انتشر له فيديو قبل أيام يزعم فيه موت فتاة متبرجة لم تستجب لنصائح شاب سلفي كان مضطرا للركوب بجانبها في "ميكروباس".

القصص المختصرة المصورة في الغرب والمنتشرة هي الأخرى على صفحات وسائل التواصل الاجتماعي لا تهتم بهذا اللون من الخطاب والسلوكيات.

إن المجتمعات الغربية تظهر ككيانات مترامية ومتلاحمة إنسانيا، ومتفوقة في نشر قيم الخير وإشاعة الرحمة بين الناس، ما يوضح تصورا مغايرا لقيمة الأمر بالمعروف. من تصدده وقائع ملاحقة الفتيات والسافرات ومحاولات قص شعورهن



### السلوكيات الاجتماعية على

### وسائل التواصل الاجتماعي

### تكشف تباينا هائلا بين تصورات

### سلفية وأصولية غارقة في أوهام

### الفضيلة والتدين الشكلي،

### مقابل وعي غربي تلقائي يركز

### جهده على الإنسان

يبدأ طريق الخروج من نفق التخلف بفتح باب الاجتهاد والتجديد وعدم السماح بقلقه وإدراك مدى التفوق الحضاري والإنساني، حيث ينتشر الغرب المعروف بمفهومه الواسع الذي يفيض على الفقراء والضعفاء بالعطايا والمنح ويبدعون في كل مجالات الحياة بما يضمن تطورها وتمتع الإنسان بها. وتتحقق قيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فعليا مع رسوخ قيم الصدق والإتقان والعمل والحريّة.

والمعروف الأكبر هو تحقيق الكرامة الإنسانية وما أنجزه الغرب من خلال التفوق العلمي والمعرفي والمادي الذي أدى إلى ارتفاع هائل في مستويات الرفاهية، وهو الأمر المفقود في المجتمعات العربية والإسلامية التي ينصبّ ههنا في أخلاق الجنس والشكل.

